نهج الإمام علي بن الحسين عليه السلام وأثره في التنشئة الاجتماعية

المدرس المساعد
عتاب بسيم مشكل السوداني
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية
hydrjabr@gmail.com

لا أحسب أن هناك فذاً من أفذاذ العقل الإنساني من يضارع أهل البيت عليهم السلام في مواهبهم وعبقرياتهم التي امتدّت مع الزمن وسرت موجاتها لتطوير الفكر الإنساني وتنمية الوعي الديني والاجتماعي والسياسي لجميع شعوب الأرض. لقد فجروا ينابيع العلم والحكمة في الشرق، وأسسوا في دنيا العرب من العلوم ما يزيد على ثلاثين علماً، مضافاً إلى آرائهم المشرقة في مختلف مجالات الحياة. إن الطاقات العلمية الهائلة التي بثّها أهل البيت عليهم السلام ونخص بالذكر منهم موضوع بحثنا الإمام علي ابن الحسين عليه السلام قد ساهمت مساهمة ايجابية في صنع الحضارة الإنسانية، وبلورة الفكر الاجتماعي، وهي بجميع أبعادها ستبقى أعظم رصيد يملكه المسلمون ويفخرون به على أمم العالم وشعوب الأرض. والمرء منذ وجوده يسعى إلى أن لا يترك أبنائه دون وعظ ونصح وإرشاد وتنشئة صالحة وكان الإمام الحسين ابن علي عليه السلام تواقاً إلى ذلك فيما نقل من العلوم، إذ حظيت هذه العلوم التي نبه لها في أقواله وما اقره في أفعاله بكثير من الاهتمام من لدن العلماء والباحثين المعاصرين ولعل بعضها قد توافق مع ما اقره علماء النفس فيما اختص منها بالعلوم التربوية لاسيما التنشئة الاجتماعية والتي تعتبر من أدق العمليات وأخطرها شأناً في حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات الشخصية، إذ تؤدي البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد دوراً بالغ الأهمية في تشكيل شخصيته وتحديد أنماط سلوكه، وفي تزويده بالمعارف والمهارات والخبرات الاجتماعية اللازمة من أجل استمراره، وتمكنه من مجابهة مواقف الحياة الخارجية المختلفة. ومن هنا جاءت فكرة بحثي هذا والمتضمن ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول مفهوم التنشئة الاجتماعية وأهدافها ودور المجتمع والأسرة والمدرسة فيها وأساليب تطبيقها وآثارها أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه أشكال التنشئة الاجتماعية في سيرة الإمام علي ابن الحسين عليه السلام وهو اكتساب السلوك المرغوب فيه والقيم الاجتماعية المقبولة إما المبحث

الثالث فقد تناولت فيه أشكال التنشئة الاجتماعية في سيرة الإمام علي ابن الحسين عليه السلام وهو اجتناب السلوك الغير مرغوب فيه والقيم الاجتماعية المرفوضة.

المبحث الأول

مفهوم التنشئة الاجتماعية

التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية عملية تعليمية تبدأ من الأسرة وتنتهي بالمجتمع الكبير وتراعي عدة أمور: كيف يكون سلوك الطفل؟ كيف يواجه الأزمات وكيف يتكيف تكيفاً سليماً مع مجتمعه؟ وهي تدور حول أنواع السلوك وقيم التنشئة الاجتماعية[1].

أهداف التنشئة الاجتماعية:

إن التنشئة الاجتماعية عملية معقدة ومتشعبة الأهداف تستهدف مهام كثيرة وتحاول بمختلف الوسائل تحقيق ما تصبوا إليه ويبقى محتوى ومضمون عملية التنشئة الاجتماعية يختلف من مجتمع إلى آخر وتكون الشخصية الفردية كمعطى من المعطيات ذات أنماط مختلفة باختلاف تلك الثقافات والتي تحدد مضمون التنشئة الاجتماعية منها ما يأتي:

- اكتساب الصفة الاجتماعية، والحفاظ على فطرته السليمة وإبراز جوانب إنسانيته.
- غرس ثقافة المجتمع في شخصية الفرد.
- تنشئة الفرد على ضبط سلوكه، وإشباع حاجاته بطريقة تساير القيم الدينية والأعراف الاجتماعية حيث تعلمه كيفية كف دوافعه غير المرغوبة أو الحد منها.
- تعلم العقيدة والقيم والآداب الاجتماعية والأخلاقية وتكوين الاتجاهات المعترف بها داخل المجتمع وقيمه بصفة عامة، وذلك حتى يستطيع الفرد اختيار استجاباته للمثيرات في المواقف المختلفة التي يتعرض لها يومياً.
- تعليم الفرد أدواره الاجتماعية والتي يشغلها الأفراد باختلاف الجنس والسن، فدور المرأة مختلف عن دور الرجل ودور الطفل عن دور الرجل الناضج.
- غرس عوامل ضبط داخلية للسلوك وتلك التي يحتويها الضمير وتصبح جزءاً

أساسياً، لذا فإن مكونات الضمير إذا كانت من الأنواع الإيجابية فإن هذا الضمي يوصف بأنه حي، وأفضل أسلوب لإقامة نسق الضمير في ذلك الطفل أن يكون الأبوين قدوة لأبنائهما حيث ينبغي ألا يأتي أحداهما أو كلاهما بنمط سلوكي مخالف للقيم الدينية والآداب الاجتماعية[٢].

دور المجتمع، الأسرة، المدرسة في التنشئة الاجتماعية:

دور المجتمع:

يتحدد دور المجتمع في بناء سلطته، وطريقة تعاملها مع الأفراد وكيف تنسق لتربية الأجيال الجديدة في إطار هذه السلطات، لكي تكون مستجيبة لأوامرها، منتهية بنواهيها، ولكن الفرد ليس الوحيد الذي يتكيف، فالمجتمعات تتكيف أيضاً، فهي تتغير وتتبدل بمفاهيمها وقيمها ومثلها العليا ومعتقداتها ومواقفها وطرائق معاملتها، ثم طرائق حياتها، ومع تبدل المجتمعات تتغير التربية وطرائقها وأهدافها[٣].

دور الأسرة:

لسيطرة أحد الوالدين أثر مباشر على نوع الدور الذي يملكه الطفل في حياته الراهنة والمقبلة فإذا كان الأب مسيطراً فإن ذلك ينحو بالذكور من الأطفال إلى تقمص دور الأب وبذلك يميلون في سلوكهم إلى النمط الذكري الرجولي، وإذا كانت الأم هي المسيطرة فإن ذلك يؤدي بالأطفال الذكور في الأغلب والأعم إلى السلوك العصابي بل والذهاني أحياناً، وعلى عكس ذلك والى حد ما بالنسبة لسلوك الإناث من الأطفال، والولد يقلد الأب لأن الأب هو النموذج الصالح كما يرتضيه له المجتمع، والبنت تقلد الأم لأن الأم هي النموذج الصالح كما يرتضي لها المجتمع، وعندما تتعارض سيطرة الأب مع سيطرة الأم، يواجه الطفل صراعا في اختيار الدور الذي يقلده، وقد ينحرف سلوكه على مسالك لا سوية، وخير نموذج للعلاقات الوالدية الصالحة للتنشئة الاجتماعية السوية هو الذي يشيع في جو الأسرة نوعاً من التكامل بين سلوك الأب وسلوك الأم بحيث ينتهي إلى تدعيم المناخ الديمقراطي المناسب لتنشئة أطفال الجيل المقبل[٤].

دور المدرسة:

تعد المدرسة الوكالة الاجتماعية الثانية، بعد الأسرة للقيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية

للأطفال والأجيال الشابة، حيث تقوم المدرسة بإعداد الأجيال الجديدة روحياً ومعرفياً وسلوكياً وبدنياً وأخلاقياً ومهنياً، وذلك من أجل أن تحقق للأفراد اكتساب عضوية الجماعة والمساهمة في نشاطات الحياة الاجتماعية المختلفة، وتعمل المدرسة اليوم على تحقيق عدد كبير من المهام التربوية، ومن بين هذه المهام التي تقوم بها يمكن أن نذكر على سبيل المثال وليس الحصر، جملة من الوظائف أبرزها: التربية الفنية والتربية البدنية(٥).

أساليب التنشئة الاجتماعية للوالدين وتأثيراتهما السلبية والايجابية على الأطفال:

تعدد أساليب التنشئة الاجتماعية المستخدمة من قبل الآباء والأمهات تجاه أطفالهم ومن المعروف أن هذه الأساليب لها تأثيراتها السلبية والايجابية على الجوانب الانفعالية والاجتماعية للأطفال وفيما يأتي أهم هذه الأساليب:

- **المساندة العاطفية:**

العلاقة الأسرية التي تمتاز بإقامة علاقات عاطفية تساعد على النمو السليم لشخصية الطفل ولكن التهديد بالحرمان من قبل الوالدين نحو أبنائهم يساعد على تنشئتهم تنشئة غير سليمة.

- **أسلوب الضبط الوالدي:**

ويقصد به قدرة الوالدين على التدخل في الوقت المناسب حتى لا يصل الطفل إلى درجة التسيب ويكون ذلك بالعقاب البسيط.

نمط العداء لدى الوالدين:

إن الطريقة التي يتربى بها الطفل في سنواته الأولى والقائمة على المخاوف وانعدام الأمن تؤدي إلى تعرض الأطفال إلى الاضطرابات النفسية والتأخر في نواحي النمو المختلفة.

- **الحماية الزائدة لدى الوالدين:**

إن رعاية الطفل والاهتمام به من الأمور الضرورية التي يجب على الوالدين القيام بها ولكن لا أن يصل بها إلى درجة الحماية المفرطة، وتأخذ تلك الحماية الأبعاد الآتية: التعلق المكثف بالطفل، عدم إعطاء الطفل الحرية في استقلالية السلوك.

• **تسلط الوالدين:**

والمقصود من ذلك الأسلوب الذي يتبعه الوالدين في فرض الآداب والقواعد التي تتماشى مع مراحل عمر الطفل وذلك بالنهي والتوبيخ، ومن هذه الأسباب لجوء الآباء إلى التسلط: امتصاص الأب لمجموعة من القيم والمعايير الصارمة في طفولته مما يضطر إلى تطبيقها على أطفاله(٦).

المبحث الثاني

اكتساب السلوك والقيم المرغوب فيها

من السلوكيات والقيم التربوية التي يجب تنشئة الطفل عليها وترسيخها في نفوسهم لتصبح منهاج ونبراس لحياتهم:-

الإيمان بالله:

إن الأساس الذي يجب تعليمه للطفل في سبيل التربية الصحيحة إشعاره بوجود الله والإيمان به بلسان ساذج متيسر الفهم، وإن الحاجة للإيمان بالله موجودة في باطن كل إنسان بفطرته الطبيعية. فعندما يبدأ جهاز الإدراك عند الطفل بالنشاط والعمل، ويستيقظ حس التتبع فيه، ويأخذ في السؤال عن علل الأشياء ومنشأ كل منها فإن نفسه الطاهرة وغير المشوبة تكون مستعدة تماما لتلقي الإيمان بخالق العالم، وهذه الحالة هي أشد الحالات طبيعة في بناء الطفل. وللإيمان بالله أثرين مهمين: الأول: انه يعمل على إحياء أعظم واقعية روحانية أي الفطرة العقيدية، ويصب ركائز السعادة الواقعية للإنسان. الثاني: إن جميع الفطريات الروحية والفضائل الخلقية تستيقظ في ظل القوة التنفيذية للإيمان وقد أجمع المسلمون على أنه عليه السلام كان من أعبد الناس، وأكثرهم طاعة إلى الله تعالى، ولم يرى الناس مثله في عظيم إنابته وعبادته وقد بهر بها المتقون والصالحون، وحسبه أنه وحده في تاريخ الإسلام قد لقب بزين العابدين وسيد الساجدين، وعبادته لم تكن تقليدية وإنما كانت ناشئة عن أيمانه العميق بالله تعالى، وكمال معرفته به، فقد عبده لا طمعاً في جنته، ولا خوفاً من ناره، وإنما وجدناه أهلاً للعبادة فعبده، وقد أعرب عليه السلام عن عظيم إخلاصه في عبادته، فقال "إني أكره أن أعبد الله ولا غرض لي إلا ثوابه، فأكون كالعابد الطامع، إن طمع عمل، وإلا لم يعمل، وأكره أن أعبده لخوف عذابه، فأكون كالعابد السوء إن لم يخف يعمل"(٧).

الحلم وكظم الغيظ:

قد يحسب السفهاء أن الحلم وكظم الغيظ من دلائل الضعف، ودواعي الهوان، ولكنّ العقلاء يرونها من سمات النبل، وسمو الخلق، ودواعي العزة والكرامة. فكلما عظم الإنسان قدراً، كرمت أخلاقه، وسمت نفسه، عن مجاراة السفهاء في جهالتهم وطيشهم، معتصماً بالحلم وكرم الإغضاء، وحسن العفو، ما يجعله مثار الإكبار والثناء. وقد مدح الله الحلماء والكاظمين الغيظ، وأثنى عليهم في محكم كتابه. فقال تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٨].

كما قيل:

وذي سـفه يخـاطبني بجهـل ... فـآنف أن أكـون لـه مجيبـا

يزيـد سـفاهةً وأزيـد حلمـاً ... كعـودٍ زاده الإحـراق طيبـا[٩]

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام من أعظم الناس حلماً وأكظمهم للغيظ وقد ذكر الرواة والمؤرخون عن حلمه بوادر كثيرة منها:

وقف على علي بن الحسين رجل من أهل بيته فاسمعه وشتمه فلم يكلمه فلما انصرف قال لجلسائه قد سمعتم ما قال هذا الرجل وأنا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا مني ردي عليه قال فقالوا له نفعل ولقد كنا نحب أن نقول له ونقول قال فاخذ نعليه ومشى وهو يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فعلمنا أنه لا يقول شيئا قال فخرج إلينا متوثبا للشر وهو لا يشك أنه إنما جاءه مكافيا له على بعض ما كان منه فقال له علي بن الحسين عليه السلام يا أخي إنك كنت قد وقفت علي آنفا وقلت وقلت فان كنت قد قلت ما في فانا استغفر الله منه وإن كنت قلت ما ليس في فغفر الله لك قال فقبل الرجل بين عينيه وقال بل قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحق به[١٠].

وفي روية أخرى: جعلت جارية لعلي بن الحسين عليه السلام تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية إن الله يقول والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال لها عفا الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فأنت حرة لوجه الله عز وجل[١١].

السخاء والكرم:

للتعاطف صور زاهرة، تشع بالجمال والروعة والبهاء، ولا ريب أن أسماها شأناً، وأكثرها جمالاً وجلالاً، وأخلدها ذكراً هي: عطف الموسرين، وجودهم على البؤساء والمعوزين، بما يخفف عنهم آلام الفاقة ولوعة الحرمان. وبتحقيق هذا المبدأ الإنساني النبيل (مبدأ التعاطف والتراحم) يستشعر المعوزون إزاء ذوي العطف عليهم، والمحسنين إليهم، مشاعر الصفاء والوئام والودّ، مما يسعد المجتمع، ويشيع فيه التجاوب، والتلاحم والرخاء. وبإغفاله يشقى المجتمع، وتسوده نوازع الحسد، والحقد، والبغضاء، والكيد. فينفجر عن ثورة عارمة ماحقة، تزهق النفوس، وتمحق الأموال، وتهدد الكرامات. من أجل ذلك دعت الشريعة الإسلامية إلى السخاء والبذل والعطف على البؤساء والمحرومين، واستنكرت على المجتمع أن يراهم يتضورون سُغَباً وحرماناً، دون أن يتحسس بمشاعرهم، وينبري لنجدتهم وإغاثتهم. واعتبرت الموسرين القادرين والمتقاعسين عن إسعافهم أبعد الناس عن الإسلام، وإنما حرّض الإسلام أتباعه على الأريحية والسخاء، ليكونوا مثلاً عالياً في تعاطفهم ومواساتهم، ولينعموا بحياة كريمة، وتعايش سلمي، ولأن الكرم حمام أمن المجتمع، وضمان صفائه وازدهاره(١٢).

ومن ذاتيات الإمام زين العابدين عليه السلام الإحسان إلى الناس والبر بهم فقد كان قلبه الشريف يفيض بالرحمة والحنان عليهم. إما السخاء فكان عنصراً من عناصره، ومقوماً من مقوماته وقد أجمع المؤرخون على أنه من أسخى الناس، وأبرهم بالفقراء والضعفاء وقد نقلوا نوادر كثيرة من فيض جوده وكرمه منها:

مرض محمد بن أسامة فعاده الإمام، ولما استقر به المجلس أجهش محمد بالبكاء فقال الإمام: ما يبكيك؟ عل دين، كم هو؟ قال خمسة عشر ألف دينار، قال الإمام هي عليّ ولم يقم الإمام من مجلسه حتى دفعها له(١٣).

ومن فيض جوده أنه كان يعول بمائة بيت في المدينة في السر وكان في كل بيت جماعة من الناس(١٤).

العزة والإباء:

أما إباؤه للضيم ومقاومته للظلم واستهانته القتل في سبيل الحق والعز فقد ضربت به

الأمثال وسارت به الركبان وملئت به المؤلفات وخطبت به الخطباء ونظمته الشعراء وكان قدوة لكل أبي ومثالا يحتذيه كل ذي نفس عالية وهمة سامية ومنوالا ينسج عليه أهل الإباء في كل عصر وزمان وطريقا يسلكه كل من أبت نفسه الرضا بالدنية وتحمل الذل والخنوع للظلم، وقد ورث ذلك من أبيه سيد الشهداء عليه السلام وقد تمثلت هذه الظاهرة الكريمة في الإمام علي ابن الحسين عليه السلام فقد قال في عزة النفس "من كرمت عليه نفسه هانت علي الدنيا"(١٥).

يقول المؤرخون: " إن أحد أعمامه أخذ منه بعض حقوقه بغير حق، وكان عليه السلام بمكة، والوليد الذي كان ملكاً قد حضر موسم الحج، فقيل له: لو سألت الوليد أن يرد عليك حقك؟ فقال لهم هذه الكلمة الخالدة في دنيا الشرف والإباء: أفي حرم الله عز وجل أسأل غير الله عزّ وجل، إني آنف أن أسأل الدنيا من خالقها، فكيف أسألها مخلوقاً مثلي"(١٦).

الشجاعة:

من أمهات الأخلاق وأصولها فضلاً عن الحكمة والعفة والعدل، فالشجاعة: شدة القلب عند البأس، والرجل الشجاع قيل الذي فيه خفة كالهوج لقوته(١٧). ومن عناصره عليه السلام النفسية الشجاعة والبسالة، فقد كان من أشجع الناس وأربطهم جأشاً، فهو ابن الحسين الذي هو أشجع من ولد من صلب آدم وكان من شجاعته النادرة أنه لما أدخل أسيراً على الطاغية ابن مرجانة جابهه الطاغية بكلمات التشفي، فأجابه الإمام بكلمات نارية ملتهبة كانت أشد على الطاغية اللئيم من وقع السيوف وضرب السياط، ولم يحفل الإمام بسلطانه وجبروته، فاستشاط ابن مرجانة غيظاً وانتفخت أوداجه، وأمر بقتله، فلم يرتهب الإمام ولم يفزع، وإنما قال له بكل هدوء:" القتل لنا عادة، وكرمتنا من الله الشهادة"(١٨).

ولما أدخل على يزيد بن معاوية قابله الإمام بكل جرأة، ونعى عليه ما اقترفه من عظيم الجرم، وسد عليه كل ثغرة يسلك منها للدفاع عن نفسه، وتبرير جريمته.

الصبر:

هو استطاعة الفرد على ضبط أعصابه في أحرج المواقف، وممّا يدعو إلى تماسك الشخصية وتوازنها والصبر على الأحداث وعدم الانهيار أمام محن الأيام وخطوبها(١٩) ولقد أكد الإسلام أهمية التحلي بهذه القيمة وحث المسلمين عليها، إذ من يتحلى. بها فان الله يثيبه بغير حساب قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢٠).

والصبر من النزعات الفذة التي تفرد بها سيد الساجدين، الصبر على نوائب الدنيا ومحن الأيام، فقد تجرع مرارة الصبر منذ أن كان طفلا، وشاهد الأحداث الرهيبة التي جرت على جده أمير المؤمنين وعمه الحسن الزكي عليهما السلام، وما عاناه من المحن والخطوب، ومن أعظم الرزايا التي صبر عليها أنه كان يرى انتقاض مبادئ الإسلام، وما يوضع على لسان جده من الأحاديث المنكرة التي تغير وتبدل شريعة الله، وتواكبت عليه المحن الشاقة التي تميد بالصبر في يوم العاشر من المحرم فلم يكد ينتهي من محنة حتى تطوف به مجموعة من الرزايا والآم، فكان يقف على الكواكب المشرقة من أهل بيته، وقد تناهبت السيوف والرماح أشلاءهم، وقد بصر عمته عقيلة بني هاشم، وقد أذهلها الخطب، ومزق الأسى قلبها، فسارع إليها، وأمرها بالخلود إلى الصبر والرضا بما قسم الله[٢١].

ومن عظيم صبره أنه سمع ناعية في بيته، وكان عنده جماعة فنهض ليرى ماذا حدث، فأخبر أنه قد توفي أحد أبنائه، ورجع إلى مجلسه فأخبر أصحابه بالأمر فعجبوا من صبره فقال لهم: "إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب، ونحمده فيما نكره"[٢٢].

التواضع:

هو أن يرى الإنسان نفسه في نفسه من حسن خُلقه وجميل عشرته للناس، ولا يتعالى على أحد منهم، ولا يرى أنّه فوقهم، بل يشكر الله على كل نعمة فضّله الله بها عليهم. فالتواضع خلق كريم، يستهوي القلوب، ويستثير الإعجاب والتقدير، وناهيك في فضله أن الله تعالي أمر حبيبه، وسيد رسله صلى الله عليه وآله بالتواضع، فقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٣].

والتواضع من محاسن الأخلاق التي يشرف بها الإنسان، وقد حث الإمام عليه السلام على التحلي به قال "لا حسب لقريشي ولا عربي إلا بالتواضع، ولا كرم إلا بالتقوى، ولا عمل إلا بنية، ألا وإن أبغض الناس إلى الله عزّ وجل من يقتدي بسنة إمام، ولا يقتدي بأعماله"[٢٤].

المبحث الثالث

الكف عن السلوك والقيم غير المرغوب فيه

من السلوكيات التي يجب عدم تنشئة الطفل عليها وترسيخها في نفوسهم باعتبارها غير

مرغوب فيها ويجب الابتعاد عنها:

العصبية:

من استقرأ التاريخ الإسلامي، وتتبع العلل والأسباب، في هبوط المسلمين، عَلِم أنّ النزعات العصبية، هي المعول الهدّام، والسبب الأول في تناكر المسلمين، وتمزيق شملهم، وتفتيت طاقاتهم، مما أدى بهم إلى هذا المصير القاتم فقد ذلّ المسلمون وهانوا، حينما تفشّت فيهم النعرات المفرّقة، فانفصمت بينهم عرى التحابب، ووهت فيهم أواصر الإخاء، فأصبحوا مثالاً للتخلف والتبعثر والهوان، بعد أن كانوا رمزاً للتفوق والتماسك والفخار، كأنّهم لم يسمعوا كلام الله تعالى حيث قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢٥] لا ريب أنّ العصبية الذميمة التي نهى الإسلام عنها هي: التناصر على الباطل، والتعاون على الظلم، والتفاخر بالقيم الجاهلية. أما التعصب للحق، والدفاع عنه، والتناصر على تحقيق المصالح الإسلامية العامة، كالدفاع عن الدين، وحماية الوطن الإسلامي الكبير، وصيانة كرامات المسلمين وأنفسهم وأموالهم، فهو التعصّب المحمود الباعث على توحيد الأهداف والجهود، وتحقيق العزة والمنعة للمسلمين، وقد قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: "إنّ العصبية التي يأثم عليها صاحبها، أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكِن من العصبية أن يعين قومه على الظلم"[٢٦].

قطيعة الرحم:

هو فعل ما يسخط الرحم ويؤذيه قولاً أو فعلاً، كسبه واغتيابه وهجره وقطع الصلات المادية وحرمانه من مشاعر العطف والحنان. وتعتبر الشريعة الإسلامية قطيعة الرحم جرماً كبيراً وإثماً ماحقاً توعد عليها الكتاب والسنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه فكافأك بالإحسان إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمر فوفيت له وغدر بك، ورجل وصل قرابته فقطعوه"[٢٧].

وقد حذر الإمام علي ابن الحسين عليه السلام من قطيعة الرحم إذ قال "من سره أن يمد الله في عمره، وأن يبسط له من رزقه فليصل رحمه، فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق تقول: يارب صل من وصلني، وأقطع من قطعني، فالرجل ليرى بسبيل إذا أتته الرحم التي قطعها فتهوى به الى أسفل قعر في جهنم"(٢٨).

وترى الباحثة أنه على الأسر المسلمة تقوية الروابط وصلة الرحم بينها لأن الإسلام أكد على صلة الرَّحِم وأهمية تقويتها وتقويمها، كأصل من أصول السعادة الأسرية، وكأساس متين من أسس البنية الاجتماعية أخذت حيِّزاً هاماً من كتاب الله المجيد، ومن أحاديث النبي وأهل بيته الكرام، (صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين)

الرياء:

هو طلب الجاه والرفعة في نفوس الناس بمراءاة أعمال الخير وهو من أسوأ الخصال، وأفظع الجرائم الموجبة لعناء المرائي وخسرانه ومقته، وقد تعاضدت الآيات والأخبار على ذمهم والتحذير منه، قال تعالى يوصف المنافقين ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٢٩).

والرياء من السجايا الذميمة والمقيتة، الدالة على ضعة النفس وسقم الضمير، وغباء الوعي، إذ هو الوسيلة الخادعة التي يتخذها المتلونون والمنحرفون ذريعة لأهدافهم ومآربهم دونما خجل واستحياء، وقد حذر الإمام علي ابن الحسين عليه السلام من المراء، وهو المجادلة التي لا يقصد منها الوصول إلى الحق وإنما المقصود المغالبة والاستعلاء إذ قال "المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون به المغالبة، والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة"(٣٠).

التكبر:

وهو حالة تدعو إلى الإعجاب بالنفس، والتعاظم على الغير، بالقول أو الفعل، وهو: من أخطر الأمراض الخلقية، وأشدها فتكاً بالإنسان، وادعاها إلى مقت الناس له وازدرائهم به، ونفرتهم منه، ويُشيع في المجتمع روح الحقد والبغضاء، ويعكّر صفو العلاقات الاجتماعية، فلا يسيء الناس ويستثير سخطهم ومقتهم، كما يستثيره المتكبر الذي يتعالى

عليهم بصلفه وأنانيته. إن الغطرسة داء يُشقي الإنسان، ويجعله منبوذاً يعاني مرارة العزلة والوحشة، ويشقي كذلك المرتبطين به بصنوف الروابط والعلاقات. وهو السلوكيات التي يجب الابتعاد عنها و تنشئة الطفل على التواضع وحب الخير للجميع.

وينقسم التكبر باعتبار مصاديقه إلى ثلاثة أنواع:

التكبر على اللّه عزّ وجل: وذلك بالامتناع عن الإيمان به، والاستكبار عن طاعته وعبادته. وهو أفحش أنواع الكفر، وأبشع أنواع التكبر، كما كان عليه فرعون ونمرود وإضرابهما من طغاة الكفر وجبابرة الإلحاد.

• التكبر على الأنبياء. وذلك بالترفع عن تصديقهم والإذعان لهم، وهو دون الأول وقريب منه التكبر على الناس: وذلك بازدرائهم والتعالي عليهم بالأقوال والأفعال، ومن هذا النوع التكبر على العلماء المخلصين، والترفع عن مسائلتهم والانتفاع بعلومهم وإرشادهم، مما يفضي بالمستكبرين إلى الخسران والجهل بحقائق الدين، وأحكام الشريعة الغراء[٣١].

وقد ذم الإمام علي ابن الحسين عليه السلام التكبر، ونعى على المتكبر هذه الظاهرة السيئة لأنها باب لكل شر ومصدر لكل رذيلة، فالمتكبر لا يرى غيره يستحق الحياة، ومن ثم يقوم بالظلم والاعتداء على الناس إذ يقول عليه السلام "عجبت للمتكبر الفخور، الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غداً جيفة"[٣٢].

إن المتكبر على الناس الفخور بنفسه، لو تأمل ذاته قليلاً ونظر إلى بداية تكوينه ونهاية مصيره لما تكبر على الناس، وفخر بما يتمتع به من مال وبنين.

الكذب:

وهو: مخالفة القول للواقع. وهو من أبشع العيوب والجرائم، ومصدر الآثام والشرور، وداعية الفضيحة والسقوط. لذلك حرمته الشريعة الإسلامية، ونعت على المتصفين به،وإنما حرمت الشريعة الإسلامية (الكذب) وأنذرت عليه بالهوان والعقاب، لما ينطوي عليه من أضرار خطيرة، ومساوئ جمّة، فهو:- باعث على سوء السمعة، وسقوط الكرامة، وانعدام الوثاقة، فلا يُصدق الكذاب وإن نطق بالصدق، ولا تقبل شهادته، ولا يوثق بمواعيده

وعهوده. و إنه يضعف ثقة الناس بعضهم ببعض، ويشيع فيهم أحاسيس التوجس والتناكر. و إنه باعث على تضييع الوقت والجهد الثمينين، لتمييز الواقع من المزيف، والصدق من الكذب. وله فوق ذلك آثار روحية سيئة. كان علي بن الحسين يقول لولده:" اتقوا الكذب، الصغير منه والكبير، في كل جدّ وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير، اجترأ على الكبير، أما علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديّقاً، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذّاباً"(٣٣).

الغرور:

هو: انخداع الإنسان بخدعة شيطانية ورأي خاطئ، كمن ينفق المال المغصوب في وجوه البر والإحسان، معتقداً بنفسه الصلاح، ومؤمّلاً للأجر والثواب، وهو مغرور مخدوع بذلك. وهكذا ينخدع الكثيرون بالغرور، وتلتبس به أعمالهم، فيعتقدون صحتها ونُجحها، ولو محصوها قليلاً، لأدركوا ما تتسم به من غرور وبطلان. لذلك كان الغرور من أخطر أشراك الشيطان، وأمضى أسلحته، وأخوف مكائده. وللغرور صور وألوان مختلفة باختلاف نزعات المغرورين وبواعث غرورهم، فمنهم المغتر بزخارف الدنيا ومباهجها الفاتنة،ومنهم المغتر بالعلم أو الزعامة، أو المال، أو العبادة.

إن حب البقاء في الدنيا ليس مذموماً مطلقاً، وإنما يختلف بالغايات والأهداف، فمن أحبّه لغاية سامية، كالتزود من الطاعة، واستكثار الحسنات، فهو مستحسن. ومن أحبّه لغاية دنيئة، كممارسة الآثام، واقتراف الشهوات، فذلك ذميم مقيت، كما قال زين العابدين عليه السلام: "عَمّرني ما كان عمري بِذلة في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك"(٣٤).

الخاتمة:

وفي نهاية بحثي المتواضع هذا توصلت إلى النتائج الآتية:

- تنمية الطفل تنمية تربوية ونفسية سليمة، تشعره بالثقة والطمأنينة وتكوين قيم وعادات اجتماعية سليمة، من خلال الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام
- الابتعاد عن القيم والسلوكيات الغير مرغوب فيها التي تؤدي إلى مسارات الجنوح والشذوذ.
- تأكيد الدور التربوي لدور العبادة والمراقد الدينية المقدسة لتثقيفهم الآباء وتوعيتهم

بأفضل الأساليب التربوية لتنشئة الأطفال

- إنّ المصدر الذي استقى منه الإمام علي ابن الحسين عليه السلام قيمه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، التي قام عليها النظام التربوي الإسلامي.
- إنّ القيم التربوية مرتبطة الواحدة بالأخرى، إذ ليس من الصواب الاهتمام بقيمة وإهمال القيم الأخرى؛ لأن كل واحدة منها تكمل الأخرى، وهذا التداخل فيما بينها يجعلها تشكل كتلة واحدة، فالعدل بحاجة إلى الشجاعة والحكمة، والعز، والكرامة لا بدّ لها من التضحية والشجاعة التي قد يكون طريقها الشهادة، وهكذا تتداخل هذه القيم فيما بينها لتشكل الإنسان المؤمن الذي هو هدف التربية الإسلامية.

هوامش البحث

(١) التنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي في ظروف اجتماعية متغيرة، سهير عبد العزيز محمد، ٥.
(٢) المصدر نفسه، ٥.
(٣) تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة، عبد الواحد علواني، ١٥.
(٤) علاقة الأسرة والتنشئة الاجتماعية بالعنف الأسري، أبو ذراع أحمد، ٧.
(٥) نظرة معاصرة في علم الاجتماع المعاصر، سلوى عبد المجيد،٣.
(٦) أساليب التنشئة الاجتماعية للوالدين وتأثيراتها، سهير عبد العزيز، ٥
(٧) حياة الإمام زين العابدين، القرشي، ٢٠٥/١٥
(٨) سورة آل عمران، آية ١٣٤
(٩) الكشكول، بهاء الدين العاملي، ٤
(١٠) بحار الأنوار، المجلسي، ٩٦/٤٦
(١١) أعيان الشيعة، للعاملي، ٦٣٠/١
(١٢) أخلاق أهل البيت، مهدي الصدر،٨١
(١٣) بحار الأنوار، المجلسي، ٥٦/٤٦
(١٤) المصدر نفسه،ج٨٨/٤٦

(١٥) المصدر نفسه، ٧٨ / ١٣٥
(١٦) المصدر نفسه، ٦٤/٤٦
(١٧) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: ٣٣٠
(١٨) حياة الإمام زين العابدين، القرشي، ٨٤/١٥
(١٩) المعجم العربي الأساسي. احمد العيد وآخرون: ٨٦١
(٢٠) النحل آية ٩٦
(٢١) حياة الإمام زين العابدين، القرشي،١٢٢/١٥
(٢٢) بحار الأنوار، المجلسي، ٤٦/ ٩٥
(٢٣) الحجر، آية ٨٨.
(٢٤) الكافي، الكليني، ٨/ ٢٣٤
(٢٥) آل عمران، آية ١٠٣
(٢٦) الكافي، الكليني، ٢/ ٣٠٨
(٢٧) بحار الأنوار، المجلسي،٢٧٤/٧٢
(٢٨) الكافي، الكليني، ٢/ ١٥٦
(٢٩) النساء آية ١٤٢
(٣٠) حياة الإمام زين العابدين، القرشي، ٣٩٣/١٥
(٣١) أخلاق أهل البيت، مهدي الصدر،٦١
(٣٢) بحار الأنوار، المجلسي ٤٢/٧
(٣٣) الكافي، الكليني،٢/ ٣٣٨
(٣٤) بحار الأنوار، المجلسي ٦٢/٧٠

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أحمد، أبو ذراع، **علاقة الأسرة والتنشئة الاجتماعية بالعنف الأسري**، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. **مختار الصحاح**، دار الرسالة، الكويت،١٩٨٣
- الصدر، مهدي، **أخلاق أهل البيت** عليهم السلام، ط٤، دار المتقين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،٢٠١١.

- العاملي، محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، تحقيق: حسن الأمين، التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ب.ت
- العاملي، محمد بن الحسن، **الكشكول**، مصر- القاهرة، ب.ت
- عبد العزيز، سهير محمد، **التنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي في ظروف اجتماعية متغيرة**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط١، ٢٠٠١
- عبد المجيد، سلوى، **نظرة معاصرة في علم الاجتماع المعاصر**، مطبعة النيل، القاهرة، ٢٠٠٢.
- علواني، عبد الواحد **تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة**، دار الفكر المعاصر، سوريا ١٩٩٧
- العيد، احمد وآخرون، **المعجم العربي الأساسي**، تقديم الأستاذ الدكتور محي الدين صابر، جميع حقوق التأليف والنشر محفوظة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم توزيع لاروسي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- القرشي، باقر شريف، **موسوعة أهل البيت عليهم السلام الإمام زين العابدين** ، ط٢، دار المعارف، النجف الاشرف، ٢٠١٢.
- المجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار**، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٣.
- مجيد، سوسن شاكر، **أساليب التنشئة الاجتماعية للوالدين وتأثيراتها**، بحث منشور، ب.ت